

اغتنام العمر في

طاعة الله

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر
ل علي بن أبي طالب رضي الله عنه
فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم

قال ابن الجوزي رحمه الله
من أحب ألا ينقطع عمله بعد موته فلينشِ العلم

تهدي ولا تباع ولا تنسوننا من صالح دعائكم
أخي الكريم ساهم في الدعوة إلى الله بنسخ هذه الورقات وتوزيعها عسى أن تكون لك حسنة
جارية والదال على الخير كفاعله.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين نبينا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الشرح الإجمالي

وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو يمر أسرع من مر السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته، وإن عاش فيه عيش البهائم، يعني يأكل ويشرب وينكح، فإذا قطع وقته في الغفلة والشهوة والأمانى الباطلة، وكان خير ما قطعه بالنوم والبطالة، فموت هذا خير له من حياته"، ابن القيم في الداء والدواء.

يا ابن آدم ما أنت إلا مجموعة من السنين والأشهر والأيام والساعات والدقائق... فإذا أنهيتها فقد انتهيت... **يقول أبو الدرداء:** "ابن آدم: طأ الأرض بقدمك فإنها عن قليل تكون قبرك، ابن آدم: إنما أنت أيام، فكلما ذهب يوم ذهب بعضك، ابن آدم: إنك لم تزل في هدم عمرك منذ يوم ولدتك أمك" (رواه البيهقي في الزهد الكبير)...

وفي وجهة نظر الغزالي أنت عدد محدود من الأنفاس؛ شهيق وزفير، فإذا استهلكتها فقد حان موعد رحيلك، فتسمعه يقول: "الأنفاس معدودة، فإذا مضى منك نفس فقد ذهب بعضك" (الإحياء).

وهذا الحسن البصري يجعل للأيام لساناً فصيحاً يتكلم ويحدّر الناس من تضييع الأعمار، فيقول: "ليس يوم يأتي من أيام الدنيا إلا يتكلم ويقول: يا أيها الناس إني يوم جديد، وأنا على ما يعمل في شهيد، وإني لو قد أفلت شمسي لم أرجع إليكم إلى يوم القيامة" (حفظ العمر، لابن الجوزي).

"والدنيا ثلاثة أيام: أما أمس فقد ذهب بما فيه، وأما غداً فلعلك لا تدركه، وأما اليوم فهو لك فاعمل فيه." يا ابن آدم: "إنما أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك". "إن اغتممت بما ينقص من مالك، فابك على ما ينقص من عمرك".

فما الحل إذن؟! ... أقصد: إن كانت الآجال محدودة والأنفاس معدودة والأعمار قصيرة ولها انقضاء، فما العمل؟ **وأجيب:** الحل أن تغتنمها وتنتهزها وتستغلها ولا تضيع منها لحظة ولا أقل ولا أكثر... هكذا أمرنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين قال: "اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك" (رواه الحاكم في مستدركه).

وإن العاقل اللبيب ليتملكه العجب حين يرى من الناس من يُفني عمره ويُضيّع أيامه وسنونه على كل أمر تافه وحقير؛ من فضائيات تافهة ورحلات ماجنة وسهر على المعاصي وسمر غير مجد وتجوال لغير هدف... ثم هو لا يشعر ولا يستشعر أنه يقضي على نفسه ويقربها من حتفها! ثم هو لا يأسى ولا يندم ولا يستحسر على أيام ولت ولن تعود أبداً، يقول أبو بكر بن عياش: "أحدهم لو سقط منه درهم لظل يومه يقول: إنا لله!! ذهب درهمي، وهو يذهب يومه؛ ولا يقول: ذهب يومي ما عملت فيه" (حفظ العمر، لابن الجوزي).

ولننظر نظرة سريعة خاطفة إلى أقوام كانوا يعرفون قيمة الأعمار والأوقات، فيستغلونها أحسن استغلال ويقدمون لآخرتهم... فهذا **عبد الله بن عمر** "كان له مهراس فيه ماء، فيصلي ما قدر له، ثم يصير إلى الفراش فيغني إغفاء الطير ثم يقوم فيتوضأ، ثم يصلي، ثم يرجع إلى فراشه، فيغني إغفاء الطير، ثم يشب فيتوضأ، ثم يصلي، يفعل ذلك في الليل أربع مرات أو خمس مرات" (المصدر السابق).

وكان **عامر بن عبد قيس** "يصلي كل يوم ألف ركعة، ولقيه رجل، فقال: أكلمك كلمة، فقال: "أمسك الشمس حتى أكلمك".

وقال لرجل سألته: "عجل؛ فإني مبادر"، قال: وما الذي تبادر؟ قال: "خروج روحي".

كان بعضهم إذا أطال الناس الجلوس عنده قال: "أما تريدون القيام؟ إن الشمس لا تمسك عن الجري".

قال ابن القيم: "إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها".

فما أشد جهالة من يقول: تعال نقتل الوقت، لا ندري ماذا نفعل، ما أشد التفریط والحسرة لمن ضيع عمره فيما لا ينفعه.

قال الحسن البصري: "أدركت قوماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم شحاً وحرصاً على دراهمكم ودنانيركم".

قال ابن مسعود: "ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسُه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي".

وقال عثمان الباقلائي: "أبغض الأشياء إلى وقت إفطاري؛ لأنني أشتغل بالأكل عن الذكر".
وكان داود الطائي - رحمه الله - يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز، فقيل له في ذلك، فقال: "بين أكل الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية" (تنبيه النائم، لابن الجوزي).

ما أكثر الشباب الذين يصفقون بالأسواق، ويطوفون بالطرقات، ويتمشون في الشوارع، ويدخلون المحلات، لا في عمل دنيا ينفعه ويعود عليه بمال، ولا في عمل آخرة، وإنما إضاعة أوقات على أحسن الأحوال، ومعاصي ومحرمات في أسوأها.

واخوفاه من يوم يأتي فتقطع القلوب حسرة وندماً على ما فرطت وضيعت من أعمارها، حينها يتمنى هذا المضيع -ولات حين مندم- أن يُزاد في عمره سنة أو يوماً أو حتى ساعة ليعوض ما ضاع من عمره: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، وعندها يتفطر فؤاده وهو يردد تحسراً وكمدًا: (يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) [الفجر: ٢٤].

إن ذهاب الشهور والأعوام، إيذان لكم بقرب الارتحال من دنيا الممر إلى دار المقر والدوام، ولقد كان السلف الصالح -رحمهم الله- يغتنمون الشهور والأعوام،

بما يقربهم إلى ربهم الملك العلام. بل إنهم يغتنمون الليالي والأيام، فلا يمر عليهم يوم ولا ليلة بلا فائدة ولا كسب مثمر، طرحوا عنهم اللهو واللعب وإضاعة الأوقات فيما لا فائدة فيه ولا نفع، فهم ما بين علم يتعلمونه، وجهاد في سبيل الله وطاعة وعبادة، وقيام بحقوق الأسرة، وصلة رحم، وزيارة مريض، ودعوة إلى الله - عز وجل -.

إن قدوتهم في ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي كان يقوم بذلك كله، مع أن الله - عز وجل - غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقد جاهد في سبيل الله حق جهاده، وأوذي في سبيل الله فصبر واحتسب، حتى أظهره الله على أعدائه ونصره عليهم، وأعز به الكلمة الوثقى، وأذل به كلمة الكفر السفلى.

وقد كان يقوم بعبادة ربه، ويشد على نفسه في ذلك، ففي الصحيح، عن المغيرة - رضي الله عنه - قال: إن كان النبي - صلى الله عليه وسلم - ليقوم أو ليصلي حتى تتورم قدماه أو ساقاه، فيقال له، فيقول: "أفلا أكون عبداً شكوراً؟".

ومما يعين المسلم على استثمار وقته ، والانتفاع بعمره :

١ - محاسبة النفس: وهي من أعظم الوسائل التي تعين المسلم على اغتنام وقته في طاعة الله.
٢ - تربية النفس على علو الهمة: فمن ربى نفسه على معالي الأمور والتباعد عن سفاسفها، كان أحرص على اغتنام وقته، ومن علت همته لم يقنع بالدون، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم
٣ - صحبة الأشخاص المحافظين على أوقاتهم: فإن صحبة هؤلاء ومخالطتهم، والحرص على القرب منهم والتأسي بهم، تعين على اغتنام الوقت، وتقوي النفس على استغلال ساعات العمر في طاعة الله،

٤ - معرفة حال السلف مع الوقت: فإن معرفة أحوالهم وقراءة سيرهم لأكبر عون للمسلم على حسن استغلال وقته، فهم خير من أدرك قيمة الوقت وأهمية العمر،
٥ - تنويع ما يُستغل به الوقت: فإن النفس بطبيعتها سريعة الملل، وتنفر من الشيء المكرر، وتنويع الأعمال يساعد النفس على استغلال أكبر قدر ممكن من الوقت.

٦- إدراك أن ما مضى من الوقت لا يعود ولا يُعوّض: فكل يوم يمضي، وكل ساعة تنقضي، وكل لحظة تمر، ليس في الإمكان استعادتها، وبالتالي لا يمكن تعويضها. ٧- تذكّر الموت وساعة الاحتضار: فحين يستدبر الإنسان الدنيا، ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو مُنح مهلة من الزمن، ليصلح ما أفسد، ويتدارك ما فات، ولكن هيهات هيهات، فقد انتهى زمن العمل وحن زمن الحساب والجزاء. فتذكّر الإنسان لهذا يجعله حريصاً على اغتنام وقته في مرضاة الله تعالى.

٨- تذكّر السؤال عن الوقت يوم القيامة: فحين يقف الإنسان أمام ربه في ذلك اليوم العصيب فيسأله عن وقته وعمره، كيف قضاه؟ وأين أنفقه؟ وفيه استغله؟ وبأي شيء ملأه؟ فتذكّر هذا يعين المسلم على حفظ وقته، واغتنامه في مرضاة الله.

٩- الحرص على الاستفادة من الوقت: فإذا كان الإنسان شديد الحرص على المال، شديد المحافظة عليه والاستفادة منه، وهو يعلم أن المال يأتي ويروح، فلا بد أن يكون حرصه على وقته والاستفادة منه كله فيما ينفعه في دينه ودنياه، وما يعود عليه بالخير والسعادة أكبر، خاصة إذا علم أن ما يذهب منه لا يعود.

١٠- تنظيم الوقت: بين الواجبات والأعمال المختلفة دينية كانت أو دنيوية بحيث لا يطغى بعضها على بعض، ولا يطغى غير المهم على المهم.

١١- اغتنام وقت فراغه: الفراغ نعمة يغفل عنها كثير من الناس فنراهم لا يؤدون شكرها، ولا يقدرونها حق قدرها

والله اعلم
وصلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

